**التطبيق الواقعى لشرعة المؤاخاة نقطة**

**تحول فى حياة المجتمع المسلم**

**لقد كان التطبيق الواقعى لشرعة المؤاخاة فى الله نقطة تحول فى حياة المجتمع الاسلامى سجلها القرآن آيات تتلى ويتعبد بها فقال الله تعالى (**

**فالدار هى المدينة المنورة والذين تبوءوها هم اهلها من الاوس والخزرج الذين توجهم الله بلقب ( الأنصار ) حين أن تبوءوا الإيمان يعد تبوئهم الدار فالدار مباءة الحس المادى والإيمان مباءة الشعور الروحى فكما أحاطت بهم دارهم حسا فاستقروا بها آمنين مطمئنين متمكنين فيها تمكن المظروف بالظرف وهى محيطة بهم في إيوائها لهم وحمايتهم من كل سوء يتوجه إليهم من خارج دارهم إحاطة الظرف بالمظروف كذلك أحاط بهم في إحساسهم الإيمان فكان مستقرهم الروحى ومتوطنهم الشعورى لتمكنهم منه افضل تمكن واستقامتهم على موجباته استقامة لا تعدلها الا استقامة الامن والاستقرار الحسيين اللذين يشعر بهما كل من اوى الى داره ومتوطئه بعد رحلة من القلق المذعور**

**أسرار هذه الشرعة فى آية ( والذين تبوءو الدار والايمان )**

**وفى التعبير عن المدينة المنورة بلفظ ( الدار ) إشعار بأنها دار خاصة لكل متوطن بها متبوىء لها فهى بالنسبة لأهلها كدار خاصة للفرج يهنأ بالأمن والاستقرار وهو فى داخلها وفى هذا الإشعار نوع من الانس السرى فى النفس يزيدها روحا وطمأنينة فالأنصار فى دارهم وإيمانهم متمكنون من الأمن والاستقرار المادى والروحى تتنزل عليهم السكينة فتحفهم بنورها كانها سياج من الرحمة مضروب عليهم لا يلحقهم فزع ولا يدخل عليهم قلق**

**أما قوله تعالى ( من قبلهم ) فالضمير فيه للمهاجرين ومعناه أن الانصار هم الذين تبوءوا المدينة المنورة دارا لهم وتبوءوا معها الإيمان من قبل هجرة المهاجرين إليهم لأن المهاجرين وإن تبوءوا الإيمان قبل الانصار لانهم سبقوهم اليه وتمكنوا منه اعظم تمكن وتمكن هو منهم أبلغ تمكن لكنهم لم يتبوءوا مع الايمان دارا يتمكنون فيها من الاستقرار الحسى المادى والأمن على انفسهم وإيمانهم من فزعات الاعداء وسطواتهم فكان للمهاجرين فى تبوؤ الايمان دون تبوؤ الدار وكان للانصار تبوؤ الايمان حتى كانهما أمر واحد فى التمكن والاستقرار**

**ومن لطائف القرآن الحكيم أنه ساق دحة المهاجرين قبل مدحه الانصار مفتتحا لها بقوله : ( الحشر 8 فجعل فقد بعض ما كان مدحه للانصار من تبوء الدار والايمان مدحه للمهاجرين لانهم فقدوا ابتغاء فضل الله ورضانه ونصرهم الله بنصردينه ونصر رسوله بنصر رسالته ودعوته ووصفهم بأنهم هم الصادقون وأن الناس تبع لهم في ذلك فقال يشرفهم بهذا الاختصاص ( التوبة 119**

**فالقبلية بهذا المعنى مدحة للانصار جاءت لتشعرهم بموجباتها نخو إخوانهم الذين هاجروا إليهم تاركين ديارهم وأموالهم ابتغاء فضل الله ورضوانه والتفرغ لنصرة دينه ونصرة رسوله فالدار التى فقدها المهاجرون بما فيها من اموال وفلذات اكباد إنما فقدوها تقربا بفقدها إلى الله فأووا ألى الأنصار يتبوءون معهم دارهم دار الأمن والاستقرار مع سبق تبوئهم الايمان قبل الانصار فكمل لهم بهذه الهجرة تبوء الدار والايمان وانفردوا بسبق تبوئهم الإيمان فضيلة لا يشاركهم فيها غيرهم من سائر المؤمنين وفى طليعتهم الانصار الذين جعلوا من الايواء والنصرة دعامتين للمؤاخاة القائمة على الحب الصادق فقيل في وصفهم ( يحبون من هاجر إليهم ) وهذا حب في الله ولله جعله الله فضيلة لهم ميزهم بها في مقابلة وصف المهاجرين بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله وتعرضا لفضله المنهمر عليهم غيثه ديمة لا ينقطع ولا يفتر وهم يحملون بين جوانحهم قلوبا عامرة بالحب لإخوانهم الانصار الذين وصفوا بالإخلاص الصفى الذى ثمره الحب في الله ولله فقيل عنهم ( ولا يجدون في صدورهم حلجة مما أتوا ) أى إنهم لا تستشرق نفوسهم الى فضل ناله إخوانهم المهاجرون من سبقهم بالإيمان وتضحيتهم بمفارقة ديارهم وأموالهم وانتهاضهم لنصرة دين الله ورسالاته و لايتطلعون الى شىء منه تطلبا له او مشاركة فيه**

**وليست الحاجة المنفية التى لا يجدها الانصار في صدورهم من أجل ما أوتى إخوانهم المهاجرين من منن الله وفواضله وإنعاماته عليهم وإكرامه لهم هى اختصاصهم بغنائم بنى النضير ونحوها من الامور المادية التى تيسر لقمة العيش وإشباع البطون لان هذه الامور المادية في ضآلة قيمتها وتفاهة وزنها المعنوى في موازين التسامى الإنسانى وضغف آثارها في الحياة الروحية لا توزن مع الفضائل النفسية التى استأثر بتا المهاجرون في حياتهم اليمانية يوم أن قاموا هدفا للعتو المستكبر والفجور المتجبر في مكة قبل الهجرة قد نفاها الحب في الله ولله وسما عليها في آفاقه المشرقة بنور الهداية التى تخللت مشاعرهم وملكت عليهم إحساساتهم فلم تترك في انفسهم لها مجالا يجعلها ذات وزن في حياتهم ذلك الحب المقدس الذى كان عنوانه مدحة الانصار في مقابل مدحة المهاجرين وبهذا الحب اثنى الله تعالى على الانصار فقال في وصفهم نه ( يحبون من هاجر إليهم ) ولعلك لمحت أننا جرينا على أن الضمير في قوله تعالى ( ولا يجدون في صدورهم حاجة ) يعود على الذين يحبون من هاجر اليهم وهم الانصار والضمير في قوله ( أوتوا ) يعود على المهاجرين وهو المعنى المحقق للمقصود من الاية فهو أرجح عندنا مما سواه**

**والحب الذى يسجله رب العزة تبارك وتعالى في محكم كتابه آيات بينات تتلى ويتعبد بها في روعة إعجازها وبراعة أسلوبها وسمو منهجها في الهداية لا يمكن أن يبقى معه في حنايا النفس المؤمنة لآثار حزازة تنفس على المهاجرين ما آتاهم الله من مكارم الايمان والتضحية في سبيله بالديار والاموال بله متعة مادية زائفة تافهة**

**وصفات المدحة السلبية لا تذكر في مقامها الا اذا كانت ممكنة الوقوع فيكون نفيها عنصرا من عناصر المدح المقتضبة إحلال ما يقابلها من صفات إيجابية في بناء المدحة المشرفة**

**فإذا قيل في وصف الانصار بعد وصفهم بحبهم المهاجرين ( ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ) كان معنى ذلك أن هناك الانصار سموا في حبهم لإخوانهم المهاجرين الى ذروة الصفاء والإخلاص ووحدة الشعور وامتلأت صدورهم بهذا الحب القدسى فلم تعد تتسع لشىء معه إلا أن يكون ذلك الشىء أثرا من آثار الحب وليس ذلك إلا ذروة الفضائل وهو إيثارهم على أنفسهم بكل كرامة ولو كانوا هم في أشد الحاجة إليها**

**كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار حين وقعت في يده غنائم بنى النضير " إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىْ من الغنيمة ؟ " فقالت الانصار : بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها**

**فالأنصار هم الذين آثروا المهاجرين بالغنيمة وكانت أيديهم لو اردوها وتعلقت بشىء منها أنفسهم ووجدوا حاجة في صدورهم إذ عرض النبى صلى الله عليه وسلم عليهم قسمتها بينهم إخوانهم المهاجرين فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يخص بالغنيمة المهام إلا بعد ان كشف غطاء الحياء من نفوس الانصار مكانا لتطلع واستشراف الى شىء مما حبى به المهاجرون من فضائل سبقوا بها كل سابق بله حزازة من اجل لعاعة مادية تنتهى الى ذرات من التراب تحت الاقدام**

**ومجىء قوله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ) عقيب قوله عز شأنه ( يحبون من هاجر إليهم ) بيان لثمرة هذا الحب وهى ثمرة سما بها الانصار الى آفاق لم تصل اليها البشرية في تاريخاها البعيد السحيق ولا في تاريخها الدانى القريب تلك هى ثمرة الإيثار على النفس التى أثمرها الحب الإيمانى والحب الإجتماعى**

**الايثار بجميع صوره ثمرة الحب في لله ولله**

**والايثار صور والوان وضروب وأنواع فقد يكون إثارا بشىء محبوب يمكن الاستغناء عنه وقد يكون إيثارا بشىء مطلوب ولكن لا يبلغ طلبه والحاجة إليه مكان الضرورة التى لا يستغنى عنها إلا بضرب من الحرمان الوجيع وقد يكون إيثارا بشىء تتطلبه الضرورة البالغة مبلغ الفداء والتضحية بالنفس وفلذات الاكباد وقد يكون ايثارا بما ينقص الكمال ويشوه الوضع السليم وقد يكون ايثارا بما يستوعب المدح والثناء وقد يكون ايثارا بما يدفع سبة او يبرىء من تهمة**

**ولاشك ان ارفع مراتب الايثار وأجل أنواعه وصوره هو الايثار بما تحتاج اليه النفس المؤثرة لغيرها عليها حاجة تبلغ بها مكان الضرورة التى يكون تركها لإيثار غيرها بموجبها مفضيا الى نوع من التضحية الأليمة القاسية التى قد تعرض النفس الى تلفها او تعرضها الى ما لا طاقة لها بتحمله من مهانة وذلة وحرمان**

**وهذا النوع من الايثار هو الذى اثنى نه الله جل وعز على الانصار في مدحتهم الغراء فقال في وصفهم ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) والخصاصة كما يقول ابن فارس : الإملاق والثلمة في الحال وهذا تصوير لمبلغ الضرورة التى وصلوا إليها في حاجتهم الى مايؤثرون نه غيرهم على أنفسهم ثم وصفوا بالفلاح على جهة الاختصاص نه في مقابلة اختصاص المهاجرين بالصدق في عزائمهم والإخلاص في إيمانهم فقيل فيهم بعد تقرير انهم بهذا الإيثار صفت نفوسهم من كدورات التطلعات والحزازات وأخلصوا الحب لإخوانهم المهاجرين وطهروا من رشح الشح فتوقوه بفضيلة الكرم والسخاء المؤثر ( ومن يوق شح نفسه فأولئِك هم المفلحون )**

**الايثار كان عملا إيجابيا في واقع الحياة**

**وقد كان هذا الإيثار من الأنصار لإخوانهم المهاجرين في مؤاخاتهم الاجتماعية عملا إيجابيا في واقع الحياة سجلته الواقع والاحداث قال ابن سيد الناس في كتابه ( عيون الأثر ) : وذكرعبد الله الحاكم في كتاب ( الإكليل ) له بإسناده الى الواقدى " عن معمر بمر بن راشد عن الزهرى عن خارجة بن زيد عن أم العلاء قالت : صار لنا عثمان بن مظعون في القرعة فكان في منزلى حتى توفى قالت فكان المسلمون والمهاجرون في دورهم وأموالهم فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى نضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال : " أدع لى قومك فقال ثابت : الخزرج يارسول الله ؟ قال رسول صلى الله عليه وسلم " الانصار كلها " فدعا له الاوس والخزرج فتكلم رسول صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بنا هو أهله ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم وأثرتهم على انفسهم ثم قال : " إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علىّ من بنى النضير وكان المهاجرون غلى ماهم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم ؟ فتكلم سعد بن عبادةوسعد بن معاذ فقالا : يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا**

**ونادت الانصار : رضينا وسلمنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفاء الله عليه وأعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار شيئا إلا رجلين كانا محتاجين سهل بن حنيف وأبا دجانة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابى الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم**

**وذكر البلاذرى في فتوح البلدان ان رسول الله صلى عليه وسلم قال للانصار " ليست لإخوانكم من المهاجرين اموال فإن شئتم قسمت هذه أى غنائم بنى النضير وأموالكم بينكم وبينهم جميعا وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة " فقال الانصار بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من اموالنا ماشئت فنزلت ( ) الحشر 9**

**فقال سيدنا ابو بكر رضى الله عنه جزاكم الله يامعشر الانصار خيرا فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوى :**

**جزى الله عنا جعفرا حين أزلفت**

**بنا نعلنا في الواطئين فزلت**

**تلاقى الذى يلقون منا لملت**

**عرفان المهاجرين وتقديرهم لفضل اخوانهم الانصار**

**وقد قدمنا حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال المهاجرون : يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا من كثير كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ما أثنيتم عليهم ودعوتهم لهم "**

**وهذا القول من المهاجرين من اعظم الإعظام والتقدير لصنيع الانصار معهم وعرفان بالجميل في صورة من اروع مايمكن أن تصوره الكلمة الصادقة المخلصة**

**وفى إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم إشعاربأن العمل العظيم لا يجزيه إلا عمل عظيم وقد أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى هذه المجازاة المتوازية في الفضل مع أكرم المكارم التى أسدها إليهم إخوانهم الأنصار بالمواساة في القليل والبذل من الكثير وكفايتهم المؤنة ومشاركتهم في المهنأ حتى خشى المهاجرون أن يذهب الانصار بالاجر كله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا " لن يذهبوا بأجركم ما عرفتم لهم فضلهم بالثناء عليهم بما هم أهله وما عرفتم لهم فضلهم في حبكم ومؤاخاتكم ومادعوتهم لهم أن يتولى الله عنكم جزاءهم**